

تجربة إلى فرنسا (4)

فى منتصف شهر يونيه الماضى ، دعيت من جامعة ليون بفرنسا للاشتراك فى مناقشة رسالة دكتوراه ، كان موضوعها طريفاً للغاية ، وهو القيم الروحية فى الصلاة عند كل من المتصوفة المسيحيين والمسلمين حتى القرن 13 الميلادى .

وقد حصل عليها الباحث المصرى محمد سلامة بمرتبة الشرف الأولى وكان بالفعل نموذجاً مشرفاً للشباب المصرى الذى يعمل بجد عندما تتاح له الإمكانيات العلمية المناسبة . وقد أسعدنى كثيراً ذلك الشئ الذى تلقاه الباحث المصرى المسلم من كبار الأساتذة والمتخصصين فى الديانة المسيحية ، حين ناقشوه ، وافتروا بأنهم قد استفادوا كثيراً من قراءة بحثه .

المهم ، دعاني أحد الأساتذة في اليوم التالي لمناقشة الرسالة ، إلى حضور مؤتمر مصغر لطلاب الدكتوراه من سائر الجامعات الفرنسية في هذا المؤتمر يلتقى الطلاب الذين مضى على إعداد أبحاثهم حوالى سنتين لكى يعرض كل منهم أمام زملائه موضوع رسالته والمنهج الذى يتبعه ، والعقبات التى تصادفه ، والنتائج التى يهدف إلى الوصول إليها.

كل جلسة من هذا المؤتمر المطايبى ، أى الذى يديره الطلاب بأنفسهم تتضمن ستة متحدثين ، كل منهم له عشر دقائق ، والمنبه موجود أمامهم لكى لا يزيدوا دقيقة واحدة. أما نحن الأساتذة فلما يحق لنا التدخل فى المناقشات التى يجريها الطلاب مع بعضهم البعض.

فقط نستمع ونلاحظ ، ونحتفظ بأرائنا وانطباعاتنا حتى إذا انتهت الجلسة ، وأصبحنا فى استراحة الشاي ، راح كل منا يتحدث مع الطالب الذى سجل على عرضه ملاحظة .. كان المجال هو تاريخ العصور الوسطى ، وبالطبع تناول العديد من الموضوعات التى تتعلق بالعالم العربى والإسلامى مثلاً ما دار حول نشأة (الخان) وتطوره لدى العثمانيين ، ومنها ما تعرض لمكان ومكانة دير سانت كاترين بمصر ، ومنها ما تناول المحلى والأساور التى تم العثور عليها فى أعمال الحضر الأثرية حول مدينة دمشق..

و هكذا وجدتنى اجلس فى جامعة ليون بفرنسا ، واستمع لباحثين شبان من مختلف الجامعات الفرنسية ، يتناولون بالدراسة موضوعات من صميم حياتنا الثقافية والاجتماعية ، محاولين إلقاء الضوء على مناطق محددة فى تاريخنا وحضارتنا. وساعتها قلت لنفسي : لماذا لنا نقوم بمثل هذه التجربة فى جامعاتنا : تلك التجربة التى نعطى فيها دفعة القيادة لطلاب الدراسات العليا لكى يناقشوا أنفسهم بأنفسهم ، قبل أن يناقشهم الأساتذة ؟ ولماذا لنا يجتمع أهل كل مجال فى سائر الجامعات المصرية فى مثل هذا الملتقى ليناقشوا الأبحاث المستقبلية التى يجريها شباب الباحثين الذين سوف يكونون هم علماء الغد ؟ وأخيراً ، لماذا لنا نقيم تعاوناً علمياً مشتركاً بين طلاب الدراسات العليا لدينا ، وبين أمثالهم فى جامعات العالم المتقدمة ، من أجل مزيد من التفاعل ، وتبادل الخبرة ، والإفادة من التجارب المتنوعة .

[عودة](#)